

رحيلٌ غيرٌ مُتَّسَفَقٍ عليه

ربَّما لا تكون قصيدة، ولكنها همسةٌ وفاء لروح صديقي المرَّيبِ الفاضل والشاعر/أ. (معتوق العيثان.. أبي عبد الله) رحمه الله تعالى.

رحيلُكَ لن أُوَفِّيَهُهُ عَزَاهُ

ولو أفرغتُ روعيَ في رثاهُ

ذبيحُ الذكرياتِ أنا، وشعري

خلاصةٌ ما تدفَّقَ من دمَّاهُ

وصوتُ الحبرِ ليسَ سوى دعاءِ

يؤمِّلُ أن تعودَ على صداهُ

رحيلُكَ غيرٌ مُتَّسَفَقٍ عليه.

وما حدَّثتَنا عن منتهاه!!

متى تاريخُ عودتكِ المُرَجَّي؟!

أَتَذَكِّرُهُ الإيابَ بها اشتباهُ؟!

أسائلُ عنكَ (عبد الله)؟ يبكي..

كأنّ الدمع صار له أباتاه !!

فيا من لم يزل يذحلّ فينا

(أنا) حتى تنازل عن (أنا)

ما كذنا نسير معًا! لماذا ان-

عطفًا! وسار كل في مداه؟!

ختمت المسرحية؟! أم تذاهي

بك الدور القديم لِمَا تَلاهُ؟

رحيل لا يُفسّر.. غير أنا

نفسه لندجو من لظاه

خبزنا الحب في فؤن الأمانى

وأطعمنا المشاعر من قراه

وخانت نار ذاك الفؤن حتى

بكاى الخباز واحترقت يداه

عَاكَ النَّعْشُ زَعْوِيَّةَ حَامِلِيهِ

فَأَنَّ الرَّمْلُ أَزَّيَّةَ مَنْ حَثَّاهُ

جِرَاحِيْ فَيْكَ شَتَّى حَيْثُ جِرِحُ

أَرَاهُ، وَحَيْثُ جِرِحُ لَا أَرَاهُ

وَمِثْلِيْ مَنْ يُعَزِّزِيْ فَيْكَ صَبْرًا

فَحَالِيْ حَالُ مَنْ دَفَنُوا أَخَاهُ

أَحَقُّ لَنْ تُطَوِّقَنِيْ بِزَنْدٍ

غَنِيَّتُ بِهِ وَشَاغًا عَنِ سِوَاهُ؟!

وَلَنْ يَنْسَابَ لِيْ مِنْكَ الْمُحَايَا

بِبَشْرِيْ كُنْتُ أَسْبِحُ فِي زِدَاهُ؟!

وَلَنْ تَسْتَنْهَضَ الْفُضْحَى فَتَأْتِي

إِلَيْكَ، وَكُلُّ حَرْفٍ فِي قُؤَاهُ؟!

ذَبِيحُ الذِّكْرِيَاتِ أَنَا؛ ذَبِيحُ

بَطَائِفِيْ مِنْكَ لَوَّحَ مِنْ عُلَاهُ!

يَزمجرُ داخلي نهرُ المعاني

ولكنَّ الصَّخورَ تسدُّ فاهُ

إذا ما لاح شخصٌ منك سَمَجُ

وسَمَّ رَني إليكَ الانتباهُ :

رأيتكَ معجمَ الأخلاقِ يمشي

على قدميه.. يَقصِدُ في خُطاهُ!

رأيتكَ زمزمَ الإيمانِ يجري

بطُهرٍ ليسَ تحويه المياهُ

فيا روحَ الفضيلةِ في زمانِ

يكادُ نهارُهُ ينعَى ضُحاهُ

رعى الزُّهدُ المُقدَّسُ منك قلبًا

فلم تأخذْ نصيبَكَ من هَواهُ

أَلْبَسْتِ زَفْسَكَ غيرَ ثوبِ •

على تقواك قد زُررتْ عُراهُ !

شديدٌ في بياضك، لا تُعادي

ليَنسبِكَ السوادُ إلى عِداهُ !

جَمالُكَ لا يُرى جَمعًا، ولكنْ

لكُلِّ ما استطاعتْ مُقلتاهُ

ولو جَمَعَتْ عيونَ الناسِ عينُ

رَأَتْكَ كما تَصَوَّرَكَ الإلهُ !

يتيهُ بنا الوداعُ وقد دخلنا •

مساحتَه، وَيَتَّسِعُ المَتاهُ

فَمَنْ أودَى بحُلامِكَ في ربيعٍ؟!

وفصَّ الوردَ مُفْتَرَسًا شذاهُ؟!

وأغلقَ بابَ عُمرِكَ في الليالي

على قَدَرٍ تعجَّلَ في قَضاءهُ؟!

ومَنْ أَرخَى السُّدُولَ عَلَى التَّجَلِّي

فَأُطْفَأَ مَا تَدْوَوَّرَ مِنْ بَهَاهُ!؟!

نَفَضْنَا مِنْكَ أَيْدِينَا وَعُدْنَا

تُؤَوِّدُنَا عَلَى ذِكْرِكَ آه!!

وما نُفِضَتِ - من الحُبِّ - الحنايا

ولا نُفِضَتِ - من الذِّكْرِ - الشِّفَاهُ

فما زلنا نُؤَوِّدُنِسُ مِنْكَ طَيْفًا

يُشْرِعُ بِذِكْرِيكَ فِي رُؤَاةٍ

نحاولُ أَنْ نُضِيءَ الْوَقْتَ مَهْمَا

خَبَا قَبْسُ الْحَقِيقَةِ مِنْ سَنَاهُ

لنا فِي الْمَوْتِ بَوَصْلَةٌ، وَلَكِنْ

نُؤَوِّجُّهَا، وَلَيْسَ لَهَا اتِّجَاهُ!

مَسَافَاتُ هِيَ الدُّنْيَا، وَلَيْلُ

شَرِيدُ مِنْ دُجَاهُ إِلَى دُجَاهُ

ونحنُ سُراةُ هذا الليلِ قِدمًا

نموتُ إذا نُفِرَّطُ في سُراةُ